252591 ـ الدليل على أزلية الله تعالى من القرآن

السؤال

أريد دليلا من القرآن على أن الله أزلي لا بداية له ، أعلم أن مسألة أزلية الله أمر بديهي ونستطيع أن نستنتج ذلك باستعمال عقولنا ، ولكن هل يعقل أن لا يذكر الله هذه الصفة و لو لمرة واحدة فقط في القرآن بشكل صريح وواضح ؛ ليؤكد لنا أنه فعلا أزلي ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الأزلي هو الذي لا بداية له، فلم يُسبق بعدم، أي ليس مخلوقا.

قال في تاج العروس (27/442): " أَزلِيٌ: مَنْسوبٌ إِلى الأَزَلِ ، وهو ما ليسَ بمَسبُوقٍ بالعَدَم . والمَوْجُودُ ثلاثةُ أَقْسامٍ لا رابعَ لها : أزلِيٌ أَبَدِيٌّ ، وهو الحَقُّ سُبحانه وتعالى ، ولا أَزلِيٌ ولا أَبَدِيٌّ وهو الدُّنْيا ، وأَبَدِيٌّ غيرُ أَزلِي وهو الآخِرَةُ ، وعَكْسُه محالٌ؛ إِذ ما ثبَت قِدَمُه اسْتحال عَدَمُه .

وصَرَّحَ أَقوامٌ بأَنَّ [لفظ] الأَزلِيَ ليس بعَرَبي . أَو أَصْلُه يَزَليٌ ، مَنْسُوبٌ إِلى قوْلِهم للقدِيمِ : لم يَزلْ، ثمّ نُسِبَ إِلى هذا ، فلم يَستقِم إِلا باخْتِصارٍ ، فقالوا : يَزلِيٌ ، ثم أَبْدِلتِ الياءُ أَلِفًا للخِفَّةِ فَقالُوا : أَزلِيٌ، كما قالُوا في الرّمْحِ المَنْسُوبِ إِلى ذِي يَزن: أَزنيٌ، وإِلى يَثْرِبَ: نصْلٌ أَثْرَبِيٌّ ، نقله الصاغاني هكذا عن بعضِ أَهْلِ العِلْمِ " انتهى.

والقرآن الكريم قد دل على هذا المعنى في مواضع كثيرة، فمن ذلك:

أ ـ تسمية الله تعالى بالأول. قال تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) الحديد/3

فالأول هو الذي قبل كل شيء، أي لا بداية له سبحانه. وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم، كما روى مسلم (2713) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أنه كان إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ، يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ: (اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

" قال تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) ، (الأول) أي: ليس قبله شيء ،لأنه لو كان قبله شيء ، لكان الله مخلوقاً وهو

عز وجل الخالق ، ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الأول بأنه الذي ليس قبله شيء ، كل الموجودات بعد الله عز وجل ، لا أحد مع الله ولا قبل الله " انتهى من " لقاء الباب المفتوح "

ب ـ ما جاء في القرآن الكريم من أن الله تعالى هو الخالق، والخلاق، وخالق كل شيء، وخلق كل شيء. فإذا كان الله هو الخالق لكل شيء، فهو السابق الأزلي الذي لا بداية له؛ لأن ما له بداية مخلوق من قبل غيره.

ج ـ ما جاء في القرآن الكريم من أنه الرب والإله، وتقرير ذلك، والاستدلال له في مواضع لا تحصى؛ لأن الرب والإله يستحيل أن يكون له بداية، وإلا لكان مخلوقا أوجده غيره، تعالى الله عن ذلك.

د ـ وفي صحيح البخاري ، في تفسير سورة السجدة (6/127) في تفسير قوله تعالى : (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء: 96] ، ونحو ذلك من الآيات ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ) .

هذا واعلم أنه ليس من أسمائه تعالى (القديم) ولا (الأزلي)، لعدم ورودهما في الكتاب والسنة، وإنما اسمه سبحانه (الأول) وهو دال على معنى الاسمين السابقين، وأكمل منهما؛ لأن القديم يحتمل أن يكون متقدما على غيره، وقبله من هو أقدم منه، والأزلي يحتمل أن يوجد معه ما هو أزلي، أما الأول، فينفي أن يكون أحد قبل الله ، أو معه.

وانظر للفائدة: السؤال رقم : (198069) .

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى علاج الوسوسة في هذا الباب بقوله: (يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ ، فَيَقُولُ مَنْ : خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟!فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ) رواه البخاري (3276) ومسلم (134).

وفي رواية لمسلم : (لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ : هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ).

فلا تجعل قلبك كالإسفنجة ، يتشرب ما يلقيه الشيطان من الوساوس والخطرات ، بل اجعله كالزجاجة ، تمر به من خارجه ، ثم هو محفوظ على ما فيه من الإيمان .

والله أعلم.